محاضرات في مقياس مصادر اللغة و الأدب والنقد .

السنة الأولى . جذع مشترك . السداسي الثاني .

وحدة التعليم المنهجية .الرصيد :03 . المعامل : 02 .

أ/ناصر عبد العزيز .

المحاضرة السادسة : المجاميع الأدبية القديمة .

أولا- المصادر الأدبية :

تعتبر المصادر الأدبية الأساس الذي يستمد منه الباحث مادة بحثه ويأخذ عنها الكثير من الأفكار ويقتبس منها أثار المعرفة الإنسانية ، فبواسطة هذه المصادر نقف على أراء الأقدمين والمحدثين المعاصرين ومنها نأخذ كلما نرى من أفكار الدارسين والباحثين ، وفي مقدمتهم : (محمد عبد المنعم خفاجي : البحوث الأدبية ، مناهجها ومصادرها) و (عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي) و (الطاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الأدب) . إن المصادر الأدبية هي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يريد .

ثانيا - الكامل في اللغة والأدب للمبرد :

1- المؤلف : (210 - 286 ه) . أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمُبَرِّد . ولد بالبصرة ، ولقب بالمبرد قيل : لحسن وجهه ، وقيل : لدقته وحسن جوابه ، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكما ، وذلك غيرة وحسدا . أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن 3ه . كان المبرِّد واحدا من العلماء الذين تشعبت معارفهم ، وتنوعت ثقافاتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون ، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية ، فإن ذلك ربما كان يرجع إلى غيرته الشديدة على قوميته العربية ولغتها وآدابها في عصر انفتحت فيه الحضارة العربية على كل العلوم والثقافات ، وظهرت فيه ألوان من العلوم والفنون لم تألفها العرب من قبل .

تلقى العلم في البصرة على يد عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو منهم :أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي ، وكان فقيها عالما بالنحو واللغة ، وأبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني الذي وصفه المبرد بأنه كان أعلم الناس بالنحو بعد سيبويه ، كما تردد على الجاحظ، وسمع منه وروى عنه حتى عد من شيوخه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني، وكان من كبار علماء عصره في اللغة والشعر والنحو.

2- المؤلفة : يعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا للتراث العربي ، سواء كان ذلك في مادته النحوية أو اللغوية ، وقد اعترف الباحثون القدماء أنفسهم بأهمية هذا الكتاب فعده ابن خلدون في مقدمته ضمن أربعة كتب أساسية في البحث وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر لأبي علي القالي .

وقد قدم المبرد لكتابه بمقدمة ، توضح على وجه التحديد مادة الكتاب والغرض من تأليفه ، فقد قال : هذا كتاب ألفناه ، يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منشور وشعر موصوف ، ومثل سائر وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة ، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعـــــــــــــــــــــــراب شرحا وافيا ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا .

كتاب المبرد موسوعة لغوية ونحوية وليس مجرد شرح لنصوص أتى بها المؤلف وبذلك نكون قد اقتربنا من منهج الكتاب ، فهو يأتي بالنص كأن يكون حديثا – كما فعل في أول الكتاب – ثم يأخذ في شرحه لغويا ونحويا مستشهدا في ذلك بروائع من الشعر والنثر ، فإذا فرغ من ذلك قدم نصا آخر كأن يكون خطبة أو رسالة مشهورة لأحد الخلفاء أو الحكام . ويمكن القول أن المبرد قد بين ثلاث قضايا نقدية اهتمت بها كتب البلاغة والنقد ، وهي قضية اللفظ والمعنى ، وقضية الجديد والقديم ، وقضية السرقات الشعرية ، وفضلا عن ذلك فان الكتـــــــــــــــــــــــاب يحتوي على قدر كبير من أدب الخوارج ، وذكر طرائف نوادرهم وقصصهم وأشعارهم .

ويؤخذ على المبرد أنه كثيرا ما يروي إخباره دون أسانيد ، إذ كثيرا ما يقول : سمعت بغير وجه ، وسمعت على غير وجه ، وهذا يشير إلى تحفظه في الإسناد إذا لم يكن يعرفه على وجه الدقة ، فقد تميز باعترافه بالخطأ إذا أدرك أنه قد أخطا ، وبذلك يكون المبرد أول من وضع مبدأ اعتراف العلماء بخطئهم .

ثالثا - البيان والتبيين للجاحظ :

1- المؤلف : (159 - 255 ه) ، هو أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري ، كانت ولادته في البصرة ، و وفاته أيضا ، وفيها نشأ نشأة فقيرة ، وكان دميم الخلقة جاحظ العينين ، ولذلك لقب بالجاحظ ، في روحه خفة ويميل إلى الهزل والفكاهة في أكثر الأحيان ، ولذلك كانت كتاباته على اختلافها وتنوعها وكثرة موضوعاتها لا تخلو أبدًا من نبرة الهزل والسخرية التي عُرِفَ بها الجاحظ بين الأدباء ، وكان قد طلب العلم في سن صغيرة، غير أنه لرقة حاله وفقره لم يستطع أن يتفرغ بصورة كاملة لطلب العلم، فأصبح يعمل في النهار، ويؤجر دكاكين الوراقين بالليل للمطالعة .

أخذ الجاحظ علوم العربية على أبي عبيدة و الأصمعي ، ودرس النحو على يد الأخفش، و تعلم علم الكلام على يد النظَّام المعتزلي ، فكان على عقيدة المعتزلة ، اتصل بالعديد من الثقافات الأخرى غير الثقافة العربية كالثقافة الهندية واليونانية والفارسية، وذلك من خلال بعض الأعمال المترجمة أو ربما يناقش المترجمين أنفسهم، وكان يتقن الفارسية ؛ حيث دون بعضًا من النصوص في كتابه المعروف بالمحاسن والأضداد بالفارسية، وقد توجه إلى مدينة بغداد وبرز فيها وتفوق وتميز وعُرِف واشتُهِرَ وقد تصدر للتدريس، وكان متوليًا لديوان الرسائل لدى الخليفة العباسي المأمون .

كان الجاحظ من المعمِّرين فقد عاش قريب من تسعين سنة، وترك العديد من الكتب التي من الصعب إحصاؤها كثرة، غير أن من أشهر كتبه المعروفة والمتداوَلة بين الناس والتي حدثت له بها الشهرة الواسعة والفضل الكبير بين الأدباء في كافة العصور؛ كان كتابه الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء، تلك أشهر كتبه، كما كتب كذلك في علوم الكلام والأدب والتاريخ

والسياسة والأخلاق والحيوان والنبات والصناعة وغير ذلك من العلوم، فقد كان رجلًا موسوعيًّا بحق.

2- المؤلفة : يمكن القول بإيجاز أن الجاحظ نظر إلى وظيفة التأليف الأدبي من زاوية أخرى خلاف تلك التي نظر منها كتاب عصره ، فليست وظيفة الكتاب عنده مجرد إفراغ مزيج من المعلومات تدل على ثقافة الكاتب ، قصد إفادة القارئ ، بل الكشف عن شخصية الكاتب وفلسفته اللغوية أو الكلامية أو الأدبية من ناحية ، ثم التعبير عن موقفه إزاء أنماط من السلوك البشري في ضوء الحياة الاجتماعية التي يعيشها أهل عصره من ناحية أخرى ، و وظيفة أخرى هي إمتاع القارئ بالأسلوب الفكاهي والنوادر الطريفة ، وبذلك ندرك إلى أي حد استطاع الجاحظ تطوير الكتابة الأدبية في عصره أسلوبا وهدفا.

ويرجع الدافع إلى تأليفه كتاب البيان والتبيين إلى أمرين : أولهما أنه اختص البيان العربي ببحث شامل بين فيه طاقات اللغة العربية في مجال التغيير ، وفي مجال إقناع المستمع عن طريق المناظرة والخطابة ، وهما اللونان الأدبيان اللذان كان يمارسان في بيئة البصرة ، أما الدافع الثاني فهو الرد على الشعوبية الذين كانوا يعيبون على العرب خطبهم وتقاليدهم ، وقد نص الجاحظ في أكثر من موضع من الكتاب على أنه قد نصب نفسه مدافعا عن فصاحة العرب ، داحضا بذلك اتهامات الشعوبيين .

وهو من أعظم مؤلفاته ، يلي كتاب الحيوان من حيث الحجم ويربو على سائر كتبه . وإذا كان كتاب الحيوان يعالج موضوعاً علمياً فإن كتاب البيان والتبيين ينصب على معالجة موضوع أدبي . ولكن الجاحظ في هذين الكتابين ، شأنه في جميع كتبه ، ينحو منحى فلسفيا. فهو لا يقتصر في كتاب الحيوان على أخبار الحيوانات وخصالها وطباعها، بل يتطرق إلى موضوعات فلسفية كالكمون والتولد ، والجواهر والأعراض، والجزء الذي لا يتجزأ، والمجوسية والدهرية الخ. وفي كتاب البيان والتبيين لا يكتفي بعرض منتخبات أدبية من خطب ورسائل وأحاديث وأشعار، بل يحاول وضع أسس علم البيان وفلسفة اللغة.

ويعني الجاحظ بالبيان الدلالة على المعنى، وبالتبيين الإيضاح، وقد عرف الكتاب خير تعريف بقوله الوارد في مطلع الجزء الثالث : هذا أبقاك الله الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث، وشاكله من عيون الخطب ، ومن الفقر المستحسنة، والنتف المستخرجة، والمقطعات المتخيرة، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة .

يقول أبو هلال العسكري في الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفِقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة. إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة، مبثوثة في تضاعيفه، ومنتثرة في ثناياه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير.

رابعا - العقد الفريد لابن عبد ربه :

1- المؤلف : (246- 328 هـ) . كاتب وشاعر أندلسي . أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، كان جده سالم مولى للأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، ولد و نشأ ابن عبد ربه في قرطبة ، وأمتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية والشعر . كتب الشعر في الصب والغزل ، ثم تاب وكتب أشعارًا في المواعظ والزهد سماها "الممحصات" . و كان يتكسب من الشعر بمدحه للأمراء ، فعُدّ بذلك أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر . كما كان من الرواد في نشر فن الموشحات الذي أخذه عن مخترعه مقدم بن معافى القبري إلا أن أعظم أعماله هو كتابه «العقد الفريد» الذي كان بمثابة موسوعة ثقافية تبين أحوال الحضارة الإسلامية في عصره .

كما كان ابن عبد ربه راوية سمع من بقي بن مخلد وابن وضاح وغيرهما . توفي ابن عبد ربه ودُفن في قرطبة، وقد أصيب بالفالج قبل وفاته بأعوام . من مؤلفاته : العقد الفريد ، أمثال العرب . سحر البيان . أبناء النور. طبائع النساء .

2- المؤلفة : كان لكتب المختارات الأدبية التي الفت في الشرق الإسلامي صداها في المغرب الإسلامي فقرأها أدباء المغرب واستوعبوها ، وحذوا حذوها ، وكان أكثر ما يمثل هذا الأخذ والعطاء ابن عبد ربه في العقد الفريد . و العقد تسمية تنطبق تماما على منهج تأليفه ، فقد تصور موضوعات كتابه 25 متراصة في شكل عقد يحتوي على 25 جوهرة ، ويقابل واسطة العقد واسطة الموضوعات وهي " كتاب الواسطة في الخطب " ، وعلى جانبي الواسطة تتراص 12 جوهرة في جانب ، تماثلها في النوع والحجم 12 جوهرة على الجانب الآخر ولا أحد ينكر على ابن عبد ربه تفرده في هذا النظام الذي يدل على ابتكار من وحي شاعر ولكن لا يمكن لأحد أن يدعي أنه قد انفرد بهذه الموضوعات ، ومما لاشك فيه إن كتاب العقد الفريد يعد مصدرا مهما من مصادر التراث العربي ، لا يقل قيمة عن الكتب التي سبقته ، بل إنه حقا يتميز عنها بوفرة المادة التي أستقاها من مصادر عدة ، بتنوع الموضوعات وعلى كل فابن عبد ربه لم يستفد من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة وحده ، بل استفاد من سائر عيون الكتب التي قد ظهرت في المشرق ووصلت إلى المغرب .

ويشتمل الكتاب على جملة من الأخبار والأمثال والحكم والمواعظ والأشعار وغيرها. وقد سُمي بـ «العقد» لأن ابن عبد ربه قسّمه إلى أبواب أو كتب حمل كل منها اسم حجر كريم، كالزبرجدة والمرجانة والياقوتة والجمانة واللؤلؤة . وهو موسوعة أدبية ، تجمع بين المختارات الشعرية والنثرية، ولمحات من التاريخ والأخبار، مع الأخذ بنظرات في البلاغة والنقد مع شيء من العروض والموسيقى، وإشارات للأخلاق والعادات .

يشتهر الكتاب باسم «العقد الفريد»، إلا أن بعض النقّاد قالوا بأن اسم الكتاب هو «العقد» فقط، وأن كلمة «الفريد» أضيفت فيما بعد . وقيل أن أول من أضاف هذه الكلمة هو الأبشيهي صاحب المستطرف .

قال ابن عبد ربه في المقدمة : ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ولباب اللباب ، وإنما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء .